شعريّة الفقد والصمت في رواية الصحراء عند إبراهيم الكوني

The poetry of loss and silence in the desert novel by Ibrahim Al-koni.

حليمة هبري *

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02

مخبر المثاقفة في الأدب ونقده

ha.habri@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/11 تاريخ القبول: 2024/11/29

تاريخ النشر: 2024/12/10

ملخص:

تعد رواية الصحراء "لإبراهيم الكوني" أرضية خصبة تنفتح فيها التأويلات المتحسسة لخبث الرموز ومراوغتها، إذ لطالما فاضت نصوصه بالقراءات الأنثروبولوجية والثيولوجية، عابرة إلى شقاء الصحاري بلغة شعرية تتنافذ مع التجارب الروحانية. ولهذا تستضيف شقاوة الصحراء، الاغتراب الأنطولوجي الذي صنع ملحمة الطوارق، ونادى بالأسطوري والعجائبي، هنا في هذا الفضاء المنفلت من الحدود الجغرافية يروق للكتابة أن تسرّب بعضا من تنبؤات الأولين المحفورة على الحجر التليد، وتقف على حافة الحلم فتغرف منه التأملات الشاردة والأحلام المتشظية للملثمين؛ من سلالة الخفاء.

لذلك تسعى الدراسة العبور إلى مناطق الصمت والسكينة المعرضة لقلق الفقدان، والبحث المزمن عن ذات تغربت بالولادة، فكانت العوالم المسكونة بالشقاء لإبراهيم الكوني ملجأ الضيوف العابرين الباحثين عن ذواتهم. وعن طريق القراءة التأويليّة، يكشف الموضوع الخطابات التيولوجية والأسطورية المبطّنة في تضاعيف رواية الصحراء، مستنطقا جذوة حروفها العصيّة على النوال، بعد أن تلبّست روح الوعي الأنطولوجي، واستمرت في مطاردة أصل مجهول، تحجّب وارتكن إلى الظلام.

الكلمات المفتاحية: اغتراب؛ صمت؛ فقدان؛ أسطورة، ثيولوجيا.

Abstract :

Ibrahim al-Koni's novel The Desert is a fertile ground for interpretations to open up, because it hosts the anthropological and theological worlds, in addition to its poetic language, which is related to spiritual experience.

Therefore, the study seeks to cross into the areas of silence and tranquility exposed to the anxiety of loss, and the chronic search for a self alienated by birth, so the misery-haunted worlds of Abraham the cosmic were a refuge for transient guests looking for their self. Through hermeneutical reading, the subject reveals the theological and mythological discourses that are hidden in the doubling of the desert novel, reasoning out the appeal of its letters, after the spirit of ontological consciousness was clothed, and continued to chase an unknown origin, obscuring and relying on darkness.

KeyWords. Alienation; silence; loss; myth, theology.

*حليمة هبري

المقدمة:

تقتحم رواية الصحراء مع إبراهيم الكوني مشهدا جديدا يرتع في غمار العجائبية لينفتح بذلك النص على عوالم برزخية في كتابة بيضاء متشظية، مستعصية الإمساك بأطيافها الهاربة، وكل حرف يتنفس عنفوان التجربة المباغتة وعنفها. لتكابد وحشية الصحراء من بدايتها حتى الزفرة الأخيرة، وتضفر بثيمتها، وتصيغ السمع جيدا إلى نداء ما كان بعيدا، إذ تواشجت مع الأصول البدئية للأجناس الأدبية، "فكشفت عن جينوم الملحمة المتخفي بين تضاعيفها، وأعاد فيها الكوني "الرجل الناضج" على حد تعبير لوكاتش إلى طفولته الأولى، وأرجع إنسان الحضارة؛ المنقطع المتسوَّد، إلى أحضان الطبيعة الأم، وجعل شريد الآلهة وطريد السماء يفيء إليها مسلما زمامه للقدر، قانعا بمبدأ الخطيئة والتطهير." (زغودي، جوان 2019، صفحة 67) فالكوني حمل الرواية من مهدها البورجوازي ورمى بها إلى اللامكان المسكون بكل مكان. فغذت أعماله انعكاساً لحكاية ملحمية في حياكة روائية.

وعليه تسعى الدراسة إلى طرح مجموعة من الإشكاليات عن طبيعة شواهد الفقدان المعلنة عن مشاهد العودة إلى الوطن البتول؟ وفيما تمثلت ثيمة السفر والارتحال الموظفة في تلافيف نصوصه، وكيف استفاد خطابه الروائي من أسفار الديانات السماوية المجبولة على قدر الارتحال؟

ومن خلال الاستعانة بالمقاربة التأويلية، نروم الحفر في ثقافة الطوارق كمِلَّة منذورة للشتات والضياع، وذلك بعد تقصي جملة من المقاطع التي تبوح بالولع بروحانية العبور ومزيته في التخفيف على الإنسان عبء أحمال الوجود، في بيان منه عن العوالم الثرة المتخفية تحت جلد الصحاري، وعبقريتها في احتراف طقوس الصمت، وامتهان التشاجر مع جذور الخطابات الدينية والأسطورية.

I. في مدارات التيه والاغتراب:

كيف نعبر دون جرح؟ وكل عبور موتٌ أول نفقد فيه جزءً حميميًّا من ذواتنا، فيكبر الحنين ويرتفع دبيبُ الخطى في مغامرة الوصول إلى أنفسنا، يشدنا إلى مكان يسكننا إلى أصل بعيد تخفى بين أدغال ذواتنا المغتربة عنَّا بالولادة، يصدح بالأهازيج تراتيل ناموسٍ لا يعترف بالنفس إن لم تضع، فلا تلبث الأنا المغتربة أن تخترق حنيناً غابراً بسفر يخفف من وجع السؤال، فتلاحق خطى أثرٍ يخرج من الظل ويثب نحو زمان فردوسي الصورة في سيرورة لا تتوقف، هذه حال كل عابر حمل سره معه وجاب به فلوات الصحاري على غرار عدوس السُّرى (إبراهيم الكوني) وشخصياته المنتهكة لحرمة الخفاء المجبولة على تجرع فصوص من التيه والضياع، تدفع قصاص خطيئة عبثها بسر الأسلاف ومخالفة نواميس الصحراء، فكان الثمن غاليا لا يعوضه التبر الملعون ولا التذلُّل بالقرابين أمام الحجر المرصوف، التهمهم الخواء وأدركوا أنهم من فرع مقطوع، غرباء في الحضور الموجود زعماء لكل بعد مفقود، فأخذوا أنفاسهم اللاَّهثة وهاجروا، ديدنهم الترحال وعدوهم الأكبر الاستقرار، وخُطَّ على الرمال مصير الصحراء والصحراوي بالضياع، وعليه تم تصوير مشاهد الضياع بطريقة أنطو-بلاغية، تجعل من صوت موّال الدراويش يقرظ في وجد طعم الضياع: "من لم يفقد لم

يجد، ولا يجد إلا من فقد" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 100)

وتتوالى على الصحراوي فواجع الفقدان ويزيده الاغتراب شجنا بعد أن أصبح الوجود نفسه ضائعا بضياع "واو" ثم كتابه المقدس "آنهي"، لتُختتم سلسلة الفواجع بفقدان النفس "إن الصحراويين مِلة فقدت "واو" يوما، ثم فقدت الناموس أيضا ففقدت السبيل إلى سرِّ السلف وإلى طريق العودة إلى الواحة الضائعة. بعدها استمرت السلسلة فلم يفقد العابرون السبيل فحسب، ولكنهم فقدوا أنفسهم، واكتشفوا، أخيرا، أنهم سلالة ضائعة" (الكوني، عشب اللّيل، د.س، صفحة 129)، ولقد ظل طيف "آنهي" ذا حضور غائب في المتون الكونية، فتمت مخالفة نواميسه، على نحو يمكننا الحديث عن مخالفة اليهود لكتابهم المقدس، إذ يرسخ غياب الكتاب المقدس غيابهم، "ضاع آنهي ففقد الصحراوي دليلا آخر للحياة، كانت "واو" دليله إلى السماء، وآنهي دليله إلى الأرض والحياة والناس. وعندما أضاع الكتاب أصبح الطريق إلى الأرض مقطوعا أيضا. أصبح الوجود نفسه ضائعا" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 99) لذلك تنزح الذات الفاقدة للوصيّة إلى اغتراب يجرها للهاوية على خلاف من امتلك الوصيّة فاستعاد بها تفاصيل فردوسه المفقود، "الغربة لإنسان امتلك الوصيّة: وطن. والوطن لإنسان فقد الوصيّة: غربة" (الكوني، نزيف الروح، 2000، صفحة 16)

وبالأحرى فإن الضياع الذي نقرأه بين تلافيف نصوص إبراهيم الكوني، هو خروج إلى التيه ووجهة كل عابر فقد الطريق واعتزم السفر اللاَّنهائي، مفتشا عن المبهم السحري إذ يلامس بعد النزوع إلى الترحال اللصيق باليهود، المحكوم عليهم بالتيه، فيتحدث سيوران"Cioran Emil" فيقول: لأن اليهودي حر وطليق من طغيان المكان وغباوة التجذر فيه وبلا قيود تشد وثاقه، ولأنه لا كوني بامتياز، يظل هو ذلك الإنسان الآتي دائما من هناك ولن يكون أبدا من هنا" (مافيزولي، 2010، صفحة 148)

1.التيه اليهودي:

يرى البعض في ثقافة شتات اليهود المنحدرة من التيه الأزلي في صحراء سيناء، توجهاً ساميّاً يتجسّد كحكمة منفى، فقد ضمن لهم هذا التيه والتشتت في الأرض وعدا باستمرارية مدهشة، "وفرت لهم قدرا كبيرا من المناعة الذاتية ضد كل أشكال الإبادة" (مافيزولي، 2010، صفحة 147) على غرار تلقين عشيرة الطوارق لوصية الارتحال فغدت لهم رسالة يقين، فضياع كل من الفردوس المفقود ونواميس "آنهي" أدت بقبائل الطوارق إلى استمراء التّيه الأبدي، إلا أنهم يعيشون الفناء في ظل تمسكهم بالبقاء، يوضح هذا قدرة الارتحال على الحفظ الإنساني، "فالدينامية تضمن استقرارا أصلب عودا وأكثر متانة من ذاك الذي يوفره الاستقرار في المكان " (مافيزولي، 2010، صفحة 147)

ولا مناص من فتح نوافذ روايات إبراهيم الكوني على منافذ أنطو- تيولوجية، على السفرين اليهودي كما ذكرناه سالفا وكذا المسيحي، إذ نجد العديد من الثيمات الثاويّة من مقاطع رواية واو الصغرى تتواشج مع مضمون الإنسان الطائر في الخطابات المسيحية المتهيء دوما للسفر، وعدِّه "نموذجا مؤسسا للخطاب الإنجيلي، القاضي

بالإسفار عن أسطورة الصعود التي شرعنت هذه الرغبة فيما وراء المكان وهنا والآن كما تجلت عند المسيح " (مافيزولي، 2010، صفحة 27) ولهذا نلفي الكوني يقول:" ان الوليد إذا ولد في وطن اسمه الصحراء فسوف لن تنعم أم بأمومته طويلا، لأن الوليد الذي جاء به إلى الصحراء طير، فلا بدّ أن يحاكي ملّة الطير، ويهجر العشّ مبكّراً. وإذا جاء ميعاد العبور فإن السفر لا ينتهي أبدا" (الكوني، واو الصغرى، 1997، صفحة 10) وأيضا:" لأن الأم تعلم، بحدس الأم، أن خروج ابن الصحراء ليس خروجا إلى الحياة، كما تأمل كل الأمهات، ولكنه تيه، خروج إلى التيه. خروج إلى تيه لم يعد منه أحد يوما" (الكوني، واو الصغرى، 1997، صفحة 11) ولذلك يشيّد الكوني عالمه الروائي من روح تحفر في الوعي الأنطولوجي وتنبش في أركيولوجيا الوجود الخاص بالإنسان كفرد وكينونة، فكلمة وجود في الأصل اللاتيني "ek– sistence تروم الكشف عن الحركة والقطيعة والانصراف والابتعاد،" (مافيزولي، 2010، صفحة 28) وهذه القرائن تتعالق مع "الخروج من الذات واحتضان العالم والارتماء في جميع اتجاهاته، الإفلات منه والتشظي فيه،" (مافيزولي، 2010، صفحة 79) وكذا الانفتاح على العالم والآخرين بطريقة من الطرق.

2.1.السفر والترحال:

وكما ترتبط دلالة السفر بالنصوص الدينية سواءً اليهودية أو المسيحية فإن حضورها في المقام الصوفي يتجسد من منظور أنطولوجي، متخذة من الحياة جسرا يُعبر ولا يُعمر، رحلة تلاحق ما خلف سراب الحقيقة، يقطع فيها المسافر الدائم جذورا تشده إلى الأرض فينتهي على أن يكون بلا جذور، أو يحمل معه جذوره ويمشي، موليا ظهره لكل المواقف والعقائد التي من شأنها أن تسقطه في زوغان المرئي، وتؤكد له من جهة أخرى أن جميع ما يحيط به نسبي ولا شيء كامل وحقيقي (زدادقة، 2008، صفحة 30)

وإذا كان السفر في الخطاب اللّغوي عند الجرجاني يعرف بلغة قطع المسافة، فإن النفس الصوفي ينفث فيه معان تسفر عن سير القلب في توجهه إلى الحق بالذكر، يرتحل من منزلة القول إلى منزلة السَّمع، وفي هذا ما جاء في السِفر الخامس من الفتوحات المكيّة لابن عربي حيث يقول: "والأعمال أيضا سفر. فكما سافر العقل بنظره الفكري إلى العالم، سافر العامل بعمله واجتمعا في النتيجة..." (الحكيم، 1981، صفحة 581) وعليه يتخذ العابر سفرين "أحدهما بالجسد، فيضرب في الأرض، والثاني بالقلب كي يرتقي إلى ما خلف السّماء، فيسير إلى الحق، حتى يظفر بالتّجلي الإلهي على صفحة القلب الحقيقي لا القلب الفيزيقي، ويفوز بالخلاص" (إبراهيم، 2002، صفحة 117).

وبما أن القلب خريطة المسافر الصوفي يهتدي به للتوجه إلى الله، وهو مشكاة العرفان النوراني تتحرر بواسطته الروح من الانغلاق، فإنه يعمل كحاسة كونية تخترق حجب الكون، حيث نجد الكوني يقول:" لولا تلك القوّة الخفيّة في القلب، لولا الله في القلب، لسقط من زمان في هاوية الظلمات" (الكوني، نزيف الحجر، 2012، صفحة 63) فالقلب يجمع بين "أطراف الكونيين الظاهر والباطن، ويقود الصوفي إلى عالم ما فوق الحسّ، بحيث يشرق نور الحق في القلب إذَا تخلّص من آثار الظُلمة" (إبراهيم، 2002، صفحة 120)، ولن يتم ذلك إلا بتطهير النفس التي يمكن عدها في نصوص إبراهيم الكوني مرادفة للنفس في المفهوم الصوفي، إذ تُرى في هذا الصدد على أنها مجرد ضباب كثيف

يحجب عن المسافر عين البصيرة، " لأن نيل الدنيا رهين بخسارة النفس. أما بخسارة الرهان فإنهم على العكس يكسبون الخلاص بخروجهم من لعبة الغش." (الكوني، نداء ما كان بعيدا، 2009، صفحة 50) ومنه تدعونا مغامرة العبور إلى رياضة كبح جماح النفس، حتى يخرج العابر من لعبة السراب ويلتحق بوطن الرؤى السماويّة، فالعبور من داخل الذات إلى خارج المكان أو من الخارج نحو الداخل، هو محاولة للظفر بالحقيقة والانفتاح على اللامتناهي.

يتَّصل الصوفي بالأبدية وينفصل عن المكان والزمن، لذلك يعمل نص العبور من قصص الربَّة الحجريَّة على الكشف عن ملابسات ثيمة السفر بالمفهوم الصوفي، الذي يجعل من الصحراء مكاناً عائماً لا يمكن التجذر فيه، فتتجلى مجموعة من وصايا الشيخ الخفي لعابر السبيل تحتفي بالسفر، "لا يبتلع غول الضياع إلاّ العبور...فسافر ! إيّاك أن تتخلى عن السفر !" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 103) وكما يُبتلع غول الضياع بالعبور، ينال السعادة أيضا كل من تشظى في عذرية العالم وسكن الارتحال والسفر، فاعتصم بدين الأنبياء واضعا قدمه على طريق العظمة، بالسعي الشرس، للخروج من لعبة السَّراب، حتى يعثر على الدهشة الأولى، دهشة "واو"؛ الوطن البتول، المجهول الأول، التي لا وجود لها إلا في التنقل والظعن. "وماهي واو التي ننفق عمرنا بحثا عنها إن لم تكن ذلك الوطن الأول، المجهول؟" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 325)

تشق تجاعيد الشقاء روح الصحراوي المبتلاة برغبة تذوق رهبة الفردوس المفقود، فيعصف به الحنين للتدثر بالمعطف الذي خرج من تحته يوما، هذا الانسلاخ عن عالم آخر يُولد رغبة كاسحة في التِّيه، تحرره من قبضة براثن الاستقرار، وتضخ فيه من ديمومة الاستمرار، "فالتنقل الدائم تعبير عن حريّة باذخة تُقوي فعل إثبات الجماعة لذاتها ووجودها كما تؤكد على قوة فضيلة تلاحم الجماعة" (مافيزولي، 2010، صفحة 41)، الأمر الذي يجعلنا نستدعي ملحمة رباعية الخسوف وترحال قبيلة الطوارق المستمر من فيافي الصحراء إلى الواحة، متبعين خطوات شيخ القبيلة غوما"؛ لقد مضت خمس سنوات منذ نزل الواحة بقبيلته ولكن الشعور بالاستقرار لم يعرف السبيل إلى نفسه حتى الآن وهو الذي تعوّد على أن يشعر بالاستقرار في الترحال والتنقل في العراء" (الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، 1991، صفحة 13)فبعد أن هاجرت القبيلة من الصحراء لجفاف بئر أطلانتس، تشبثوا بالأرض واغتصبوا أرضهم الأم، لتسحب هي الأخرى بساط وهم الرغد من تحت نعالهم، وتلاحقهم بقصاص السِّياط الناريّة ولدغات العقارب، فعادوا مجددا لسفرهم محملين بثقل وزرهم. وآخر ما ختم سلسلة الخسوف موت غوما ماشيا في الأرض نحو ملاذه الأخير، قوقعة القبر.

والولوج إلى المتاهة التي هي شكل من أشكال التَّشاجر تعكس افتقاد المركز، ممّا ينجم عنه ترحال دون استقرار، وغربة عن الأوطان فلا يقوى العابر على الاستيطان، الأمر الذي يقضي بالإفصاح عن رحلة عبور جسديَّة تنزح معها الروح إلى تخوم الذات الجريحة وهوسها بما تخفى واندثر، فعلى الرغم من خطورة السفر، إلا أنه "ضرب من الزهد، تنفتح فيه الأنا على مداها، من احتضان آخرين من هذا العالم، إلى احتواء ما يكتنف كل هذا الإحساس بالمعاني الألوهية السَّاكنة بشغاف كل واحد من بني البشر وموجودات هذا العالم" (مافيزولي، 2010، صفحة 146)

3.1.العبور الطقسي:

إنَّ العبور في روايات إبراهيم الكوني لا تتشابك خيوطه مع الروحانيات الصوفيّة فقط، وإنما تلعب طقوس التأهيل دوراً كاسحاً في طمر شعائرها داخل النص السردي، فكل من طقوس الميلاد والزواج والموت تدل على رحلة الخروج من وضع في المنظومة الاجتماعية والثقافية إلى وضع آخر، وقراءة رواية المجوس بولع أنثروبولوجي سيحيلنا إلى محاولة ترصّد مغزى وحشيّة بتر موسى الدرويش لعضوه، فبعدما كان ممزّقا بين النقيضين من جهة جسده المنتمي إلى بني البشر وقلبه الذي يحن إلى صدر أمه الذئبة من جهة أخرى، أدى به الصراع إلى تفضيل الرجوع إلى العشيرة الأم، مقتلعاً عضوه الذكري، الذي لم يكن بالنسبة إليه إلاَّ سببا في التغرب عن الأم والالتصاق بحواء عائداً إلى كهف الظلمات الأولى بدل التقدم نحو شمس الحقيقة، وطقس الختان هنا يعبر بالدّرويش من الحالة الطبيعية إلى الحالة الروحيّة، كما تضمنت هذه الفعلة الجسورة الدخول في غيبوبة الموت، "ربما لأنَّ غيبوبة الموت تطهره من عتمة الشّر وتقربه من الحرم. تعيده إلى أصله البتول فيجد نفسه على أبواب واو الأولى. "واو" البداية و"واو" المنتهى" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 297)، الألم والموت كانا بمثابة ولادة جديدة، أهلت الدرويش إلى وجود طاهر، كاشفة له عن أسرار الخفاء.

أ.بين الضيافة والعبور:

نستقبل مع رواية الصحراء الضيف العابر لعله يعرفنا على نفسه أو نكتشف ذواتنا في حضوره، ومن خلاله، إنه انعكاس الذات *L'être* في مرآة الآخر *L'autre*، يدعونا هذا الأمر إلى استضافة التفكير اليهودي الذي يرى أن الخلاص آت دائما وأبدا على أيدي الرحل من الناس،" أن تسلك الطريق، أن تتبع مساراً: هو ذا الشيء المنقد لا التجذر بمكان" (مافيزولي، 2010، صفحة 146)هكذا تكلم أبيكاسيس، فأدب الضيافة منذ أفلاطون وأرسطو، مرورا بكانط، إلى ليفيناس وديريدا شهد تضارباً شعوريّا من الزينوفوبيا(الرهاب من الآخر) إلى الزينوفيليا(محبة الآخر)؛ من تبادل اللَّوم والكراهية إلى أفق رحب تحتضن فيه الذات الغريب تجسيدا لمحبة إنسانية "فالآخر لم يعد يقيم خارج أي انّية تأويلية(...)وإنما الآخر هو نمط الكينونة–معا التي نحملها سلفا في علاقتنا بأنفسنا" (هيدغر، 2012، صفحة 32) يضعنا كانط هنا مقابل مفهوم الضيافة الكونية، التي تمثل حق الغريب في المرور في أفق العالم الذي يزعم دازاين ما أنه يسكنه وحده، ناقلا معنى الضيافة من حيز محبَّة النوع الإنساني إلى حق كوسموبوليطيقي للغريب بما هو كذلك (هيدغر، 2012، صفحة 33) فبعيدا عن ذات عمياء تنتشي بنرجسيتها فقط وتبيح نحر الآخر المختلف باسم سياسات السُّلطة الرعناء، يكشف إبراهيم الكوني عن غيرية طيّبة تحل فيها عقد التَّواصل المكبَّلة بإذابة الأحكام الجائرة وتفتيت الذات المتغطرسة، عن طريق المساهمة في وجود مشترك بين الذات والآخر الغريب، هذا الأخير الذي يشير إلى مظهر من مظاهر الأنا، إنه الشبح المحجوب تحت الأقنعة أو الطيف الذي نطل من خلاله على مرايا الهويّة، فينزل ضيفا على الصحراوي مُحوِّلا رؤيته إلى رؤى تندمغ مع وجع سؤال لازال يفتش عن لغز الأنا: "من أنا؟ ومن أين جئت؟ ولماذا أدب على قدمين، بدل أن أطير بجناحين؟ لماذا جئت؟ ما غايتي من الصحراء؟" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع

المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 103) فيجيب القرين من قصة الشبح: "أنا أنت، نعم أنا هو أنت" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 138).

ب. كتابة العبور:

وعود على بدء باقتران مفردة السِّفر والسَّفرة بالكتابة والكتبة،﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ (سورة عبس الآية15) كما جاء في التنزيل الحكيم، وبالتالي تغدو الكتابة هي الأخرى هجرة إلى زمن مغتبط، الولوج بعيدا في أقاصي اللُّغة الأولى التي تمثل لثغة الجسد مفتوحا على علاقة أغنى بالعالم والآخر، ومنه ارتباط فعل الكتابة بالممارسة التي تنتهك الذاكرة والرموز (دلباني، د.س، صفحة 49) فتوهج حروف التيفيناغ المنقوشة على جلد الصخر العنيد هو افلات من مقصلة النسيان، وتعبير عن أثر يحفظ تعاريج المتاهة وسر معاريج الأسلاف، يثول ميشال دو سارتو: "لماذا نكتب؟ كي لا نزول" (الزين، 2018، صفحة 367)

"تنقل له الحجارة خطابات الأسلاف، تنقلها له مرموزة في علامات" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 161) وتماشيا مع ما تم ذكره فإنَّ مفردة الكتابة *scriptum* تتأسس في البيئة اللاتينية على الشبحية *spectrum* لهذا فإبقاء أثر الرسومات وحروف التيفيناغ على القرطاس الحجري يشير إلى تكمش أصل قديم بالبياض متعذر العثور عليه ترك خلفه وشما كالوسم *marque* يناهض النسيان والفقدان *manque* (بكاي، 2011، صفحة 148) وبالتالي نحن أمام علامة تلتحف بغشاء عصي المزق يحتضن الأطياف المتطايرة، فيجسّد كيازم بين (الحضور–الغياب) أو الجسد والطيف، ليدل على البينية بين الأشياء (الزين، 2018، صفحة 374)، وعلى إثر ذلك تزداد شهوة الكتابة بفتنة الغياب، ليغدو حافزها وعلتها، وتغدو معه طائر فينيق يُجيد تنفس الماضي والافلات من نشوة النسيان، فتبعث ما تبقى لنا من فتات الذاكرة الثقيلة... فالكتابة هي انبجاس البدئي التليد.

تتلاحق في المتون الكونية رؤى البدئي التي هيجتها الذاكرة فتستل نعومة ماضٍ عُلق خلف ضباب الزمن، والهوس الأبدي بالبكائيات، وحتى أنه أبعد من رائحة شبح طفل مازال يسكن فينا بلا اسم ولا تاريخ، وهذا ليس فقط من خلال تحسس هيروغليفيا الوجود، وإنما تلعب روح الكوني على الكتابة من جهة، وتحرص أيضا على بعث نشيد الأصوات الخفيّة، باستعادة حب قديم، معفر بذكرى أكثر قدماً، تتواشج مع الفهم الوجودي أو التفكير العاطفي الذي يجعل من الصحراوي يختلج بالصدى الأنطولوجي المتجلي في الموجودات المنصتة له أيضا، وذلك من خلال الصوت كما جاء به الطرح الهيدجري، وفي هذا الصدد: "لم يخجل في أن يستمع إليها بشغف العشاق. لم يخجل في

أن يخاطبها بلغة العشاق أيضا" (الكوني، الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى، 1992، صفحة 161) فالوجود يميل إلى التخفي ولا يفصح عن كنهه إلا لأولئك للذين سحبتهم هالته العشقيّة إليه فتعاطفوا معه وأنصتوا إليه، وهو يعلن ويفصح عن هويته في حضوره (الإمام، 2010، صفحة 185)

ii أساطير المياه المفقودة:

عادة ما نُأسر بصورة الأزرق اللاّنهائي، فنصاب بغثيان الدّهشة كلما ارتطمنا بجلده، تحسّسًا لرعشة موجه، إنه الغوص في المجهول، التحلل فيه والانبعاث منه...هكذا قد تُدبغ ذكرى ظل الموج الأقيونيسي في ذاكرتنا، لكننا لسنا هنا بصدد الحديث عن مياه البحر العنيفة ولا بغرض تقديم صورة مازوخية عن المياه، فالبحر نفسه معرض للورطة الأنطولوجية التي هوت فيها الصحراء، لذلك لا تُسعفنا المياه الحالمة لإدغار ألان بو، ولا بركة نرسيس لإطفاء نار الظمأ، قدر كليهما، "في البر يموت المسافر عطشا بسبب غياب الماء، وفي البحر يموت الإنسان عطشاً بسبب غياب الماء. لأن مياه البحر ليست ماءً، ولكنّها ظل مياه" (الكوني، نداء ما كان بعيدا، 2009، صفحة 45)

نحن الآن أمام معضلة الاختفاء التام لدمعة الشفقة الربانيّة، بعد جفاف حلمة البئر، الأمر الذي يوقظ وحش العطش في الصحراوي، فيتحمل تصحرها المائع على الرغم من امتناع القطرة الهشَّة التسلل إلى شفتيه، وامداده بقبلة الحياة، أليس الماء هو سر الحياة في النهاية؟ لكن المولدون من رحم الصحراء والعابرون إلى قفرها يستقرؤون فيها فِردوس الروح، كلما انقضّت عليها مخالب الجفاف واختنقت بالعجاف، "في غياب الماء حضور الروح. ولهذا ورد في ألواح الأوائل أن روح الخفاء إنّما تتستّر في الأبدان الهزيلة الظامئة إلى المياه" (الكوني، لون اللّعنة، 2015، صفحة 129)

يعود الكوني إلى استخدام رمزية الماء في كل أعماله الروائية، لما تنطوي عليه من دلالات تحرك النص السَّردي وتفجر فيه نماذج تتصل بالبدئي، فالمياه ترمز إلى مجموع الإمكانيات الكونية، إنها المنبع والأصل، تُشكل منبع كل خلق (إلياد، 2018، صفحة 120) وتُعتبر رواية رباعية الخسوف من النماذج الطّافحة الممثلة لغياب طيف المياه بحيث تتماهى مع أسطورة أطلانتس، وانطفاء وجه تانس سليلة القمر؛ إذ كما هو مذكور في رواية البئر كانت تانس تقتص من كل الذين أرادوا بأخيها شَرّاً وبعد أن فتك به العطش وبلغها مصرعه انتقمت له من الصحراء، فتشربت رمالها الظمأى بتفجير تانس ينابيع الماء في الصحراء وشيدت البئر الحامل لاسم أخيها المصروع، وعندما انسحب ظل تانس من الوجود الصحراوي، اندثرت مملكة "أطلانتيدا" العظيمة، والبئر قد شردت مياهه، وحدث ما يسمى بالخسوف، وعليه كلما تشيح تانس بوجهها عن القمر تتوالى على قبيلة غوما الفواجع والمحن، كما نشهد في الآن نفسه نضوب المياه من البئر قلب الصحراء ومركز الكون، "أتذكر الخسوف الأخير؟ ربما أكمل العدد اللازم فبدأت المياه تتراجع في بئرنا. لقد مرّ أربعون يوماً على الخسوف الأخير" (الكوني، رباعية الخسوف، البئر، 1991، صفحة 193) أيضا:" وأكدوا أن تلك النقطة هي قلب العالم ومركز الكون كما حدثتهم الكواكب والنجوم" (الكوني، رباعية الخسوف، البئر، 1991، صفحة 54)

ولتوضيح ما سبق فإنَّ الرمزية القمرية تقترن بالمرأة فكليهما ينتميان إلى مبدأ السلب: الين في التعاليم الصينية، الإيروس عند اليونانيين، والأنيما الأنثى الكامنة في كل رجل في التحليل النفسي، في مقابل المبدأ الموجب: اليانغ، اللوغوس، الأنيموس، على التوالي، لهذا تتواشج الصفات القمرية مع ذلك الانسحاب الغريب والفطري للمرأة تُجاه جغرافية تَسبح في مناطق العَتمة والظِل وتمتد إلى الغموض، بحيث تستلهم من القمر مزاجاً لا يشبه إلا نفسه، فهو المعروف بشروقه متى شاء، وقد يشرد خلف السّحاب تاركا الأيام تمضي في ليل طويل حالك، أو قد ينبلج في النهار خاطفا الأضواء من بريق الشمس المنتظم، على غرار المرأة المنفلتة من أغلال دجل النسق وقوانينه، تنشد السعادة التي تحققها حركة الجسد في إيقاعه الطبيعي، لا الذهن المنتصب الذي ينشد المجرد المتعالي (السواح، 2002، صفحة 77)

ويوحي استخدام أسطورة القمر ورمزية الماء بالعودة إلى البدئي المعجون بالنفس الأمومي، فكل انعطاف في الميثولوجيا ضمن المتون الكونية ما هو إلاّ انعكاس ظل الإلهة الأم، سواءً اقتصر الأمر على رمزية الماء أو القمر أو حتى على الأرض، وكل عبث بجريان الماء في العيون والآبار أو انتهاك بكارة الصحراء، والمقايضة بعظام القمر(الفضّة)، هو مساس بظل جسد من نوع آخر، وهو جسد الإلهة الأم للطوارق "تانيت" " يقايضون الفضة مقابل الذهب، فويل لمن باع أعضاء القمر مقابل تبر النحس" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 286) وفي هذا أيضا:" مكتوب في آنهي الضائع أن الماء هو الشيء الوحيد، في الصحراء، الذي يستطيع أن يفعل هذا. من تجاسر وسمّمه أو أفسده انقلب عليه الشّر ووجد نفسه مضطراً أن ينهل من نفس النبع" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 116) الأمر نفسه مع شق جلد الصحراء بالمعاول، إنه سِفاح لذوي القُربى، تتمزق فيه بكارة الصحراء على أيدي أبناء جلدتها الجسورين على جرح الأرض الأم وتقطيع جسدها،" أنا الذي خالف الناموس وارتكب الخطيئة الأولى: وإلا هل رأيت في حياتك فارساً من أهل الصحراء يحرث الأرض ويتطاول في الفلاحة؟" (الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، 1991، صفحة 268).

وفضلا عن ذلك فإن مع استحضار أسطورة أطلانتس المتلاحمة مع البناء الروائي في رباعيّة الخسوف، ندرك ما مدى كثافة التوظيف الأنثروبولوجي والكوسمولوجي لرمزية المياه، لاسيما وأن بتفجير منابع الماء وغمر الصحراء كليّاً تعود الحياة إلى صحراء العدم، تتيح لنا هذه الومضة من أسطورة تانيس وأخيها أطلانتس المغدور، العودة إلى ما قبل التاريخ أو التشكل، كضرب غير مميز لما قبل الوجود، فتكشف عن توظيف الكوني لأسطورة النشأة المائية، وذلك بعد انتقام تانس من قساوة الصحراء التي جرّدتها من حبيبها أطلانتس، فتشهد روح الصحراء ولادة ثانية، وبالتالي ما الانغمار في المياه إلا موت ما قبل الأخير، إذ لا يساوي موتا نهائيا، بل "عودة عابرة إلى اللامتميّز، متبوعة بخلق جديد، بحياة جديدة، أو إنسان جديد" (إلياد، 2018، صفحة 121)، وفي هذا الصدد: "انبثقت المياه بعد عام من الحفر المستمر، وتدفقت عبر الصحراء، تكتسح السهول الجرداء وتغمر الرمال القاحلة، وتغزو البيداء الأبدية،(...)

فارتوى رفات أطلانتس، وارتوت معه أعماق الصحراء الكبرى العطشى منذ قرون وقرون وقرون" (الكوني، رباعية الخسوف، البئر، 1991، صفحة 55)

مع أن المياه وُجدت قبل الأرض إلا أن أثداء بئر الصحراء تيبّست فغاب عن مُريد السُّرى حليب أمه، ودلالها له، مصيره العطش الأبدي، والتيه الأزلي، لكن الطارقي لا يجزع من قدره القاسي، بل يجاور بعبع الموت ويُسبّح بالصبر حتى يتوسّد السكينة، بالنسبة له كل قطرة ماء بمثابة ثروة ثمينة، وفي فقدانها الحريّة العظيمة، "ورحلة اغترابي عن أرجوحة المهد هذه لم يكن لها أن تصير ضياعا لأن المساحة من الصحراء حتى شطآن الشمال، مروراً بواحات الدواخل، لم تكن سوى امتداداً لطبيعة الصحراء بسبب غياب النّبع" (الكوني، عدّوس السّرى، روح أمم في نزيف الذاكرة، 2012، صفحة 288) فننتظر ونترقب نهاية من نوع آخر، تحفل بانفجار البئر الجافة مجددا وتشتهي الحياة العودة إلى صحراء التوحش والقفر، لكن أفق انتظارنا يخبو مع نداء الطوفان المندلع بألسنته المطهرة للنزيف على الحجر.

iii قناع الصمت:

مادام الكوني قد تسلل إلى لعبة الصمت والكلام، فإننا نحن أيضا نطارد مهاراته الملتوية كي نجس ذبذبات الصمت الذي يحمل سر الكلام الغائب عن اللّسان، أو انفلات من سموم اللّسان، ولهذا يعد الصمت ترياقاً من ذنوب الكلام، ولهذا أيضا كممت أفواه الطوارق باللّثام، ليس لمجرد تلقف رجالهم مذاق الهزيمة النكراء، وإنما أيضا لتجنّب إظهار ما خلف القناع من كلام غدا كُلْماً (جرحاً)، لهذا قال جابيس: "الصمت هو الدّم المجفف للجرح" (جابيس، 2015، صفحة 77) لما يحمله الكلام من دلالات تمس الذات المكلومة وتوشمها بندوب لا تندمل طوال الزّمان، "استطاعت هذه الألسن أن تجرح كبرياء الحاج البكاي وتدفعه إلى البحث عن واحة أخرى" (الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، 1991، صفحة 130)

مع هذا لا يمكننا أن نضع الكلمة عند الكوني تحت الشطب تماماً، لأنه شق من الصمت وليس نقيضاً له، ومما تقدم نخلص إلى خطة إبراهيم الكوني التي تتمثل أساساً في حياكة عالم حكائي يتعايش فيه المتناقضان (الصمت/ الكلام) في تآلف حميمي، ويرمم فيه الشرخ، حيث يصور الكوني الكلام بشقيه سواء أكان خيّراً أو شريراً، ككيازم ينفتح على كلا المستويين، فالإنسان الناطق يكشف عن ذاته وطرق تفكيره بواسطة الكلمة، وفي هذا يقول الكوني: "الناس أناس بألسنتهم، لأن في هذه العضلة الجسيمة تتخفّى هاوية بلا قاع. تتخفى حدود هيهات أن تدرك. وبرغم أننا نستشعر القداسة إزاء إنسان يرفض أن يتكلّم إلاّ أننا لا نعرف حقيقة الإنسان إلاّ إذا تكلّم." (الكوني، نداء ما كان بعيدا، 2009، صفحة 49)

وبما أنَّ الوجه الإنساني للطارقي مخفيَّ المعالم تحت القناع، برهان على غياب ما خلفه من عضلة اللّسان بسّمها المؤثر في الإنسان، لكن المريب في الأمر أن القناع لا يقطع الكلمة فحسب، وإنما يعمل على محو تفاصيل الوجه، لما ينقله الوجه من التخوم القصوى بين الصّمت والكلام، إنه الجدار الذي تنبعث منه اللّغة، فكل خطوط الوجه تعبر

عن صورة هادئة لخلق الكلام من الصّمت (بيكارد، 2018، صفحة 102) وعليه عندما يُرفع القناع إلى الرأس ويُشدُّ إلى الوجه، تتوغل عشيرة الطوارق في الظل وتسكن إلى الظلمة، الأمر يتعالق مع الوطن المجهول، ومكمن العلاقة تستمد خيوطها من محاكاتهم للخفاء فهم ملّة تحن إلى البرّ الأوّل، كما أنها تجسّد الأطياف المنذورة للغياب، فصحراء الكوني شبحية كل ما يتحرك داخلها له وجود طيفي يلعب على حبلي الحضور والغياب، وعلى إثر ذلك نستشهد بهذا المقول من رواية عشب اللّيل: " أليس في اتّخاذ القناع حنين إلى الوطن الأوّل الذي أضعناه يوم وُلدنا، ونحس بوجوده جميعا في مكان ما خارج الصحراء، ولكنّنا لا ندركه، ولا نعرف الطريق إليه؟" (الكوني، عشب اللّيل، د.س، صفحة 64)

أما في لغة ليفيناس: "فإن الوجه لغة" (بوطيّب، د.س، صفحة 17)، وكما هو متعارف عليه فاللغة مسكن الوجود، تتحمل عبأه ولا رهان خارجها إذ تجسّد كل من الحضور والحقيقة والمعنى، وفي كل مرة يتاح للإنسان الكتابة أو النطق، "ينكشف وجوده لنفسه، فاللغة هي شهادة الموجود على وجوده وتجلّيه أمام نفسه"، (نايل، 2014، صفحة 35)إلا أن لغة الطوارق متذبذبة، مائعة الأحرف والكلمات، تشهد توتراً بين الحضور والغياب، إشاراتها تطغى على عباراتها، مفقودة من جهة بعد فقدان "آنهي"؛ وكما هو معروف تحمي الكتب المقدّسة لغة الأمم من التّلاشي، فهي مجلى لخلود وبقاء قوّة لغة القوم، لكن "آنهي" كُتب بلغة أخرى، بلغة الحياة، وبضياعه تتشتت نواميسه لانتقالها في شذرات شفهيّة فقط دون أن تكون مصانة من التشظي، ولو لم يكن الإنسان لغة متميّزاً بالتفوه بالكلمة، سيغدو مجرّد "تصور ورمز متماثلا مع صورته الخاصة" (بيكارد، 2018، صفحة 202) ومن جهة أخرى فإنَّ اخفاء الوجه كما يفعل الطوارق، هو دليل على فقدان صورة الإنسان أصلا، فتوظيف الشخصيّات المقنَّعة يحيل على الوجود الشّبحي لها، إذ بتزاوج الإنس مع معشر الجنّ تتخلخل موازين النسل الذي نستضيفه في أعمال الكوني الروائية، ألم يفقد والد "أسوف" من رواية نزيف الحجر، لغته مع البشر بعد أن ابتلعه التّيه، ويُعد تصريحه شهادة على اختفاء الكائن الإنساني من الوجود الصحراوي "الإنس لا وجود لهم منذ زمن بعيد. منذ أن ترك لهم الوالد الدنيا ويمّم صوب الخلاء الأبدي لا يريد منهم شيئاً، إلاَّ أن يتّقي شرهم وينجو من الأذى. فهل هذا جزاء من يفقد اللّغة مع البشر" (الكوني، نزيف الحجر، 2012، صفحة 161)وفي المقام نفسه تعبيرا عن الوجود الشبحي، نذكر: " أضاء البرق مدخل المغارة فبديا في جلستهما تحت المطر مثل شبحين" (الكوني، رباعية الخسوف، الواحة، 1991، صفحة 184)

وفقدان اللّغة يشرّع الأبواب مجدداً على التّيه والضياع، لكن هل هناك استحالة لعدم استرجاع لغة الطوارق بعد الخروج منها؟ وخاصة إذا أُصيبت لغتهم بالازدواج؟ أيُّ لغة هي لغة الطّوارق؟ هل نفتش في صدى الحروف الممزقة للدرويش من رواية "المجوس"، بين الإنساني والحيواني الذي يؤكد على تواجد ازدواجية لغويّة بحدّين، فهو المنحدر من سُلالة الذئاب، والمتسلح بلغة لا تشبه إلا نفسها، إذ تقول العجائز "إنَّ شفاه الدَّراويش تتكلم لغة أخرى غريبة" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 163)، أم أنَّها لغة الموسيقى المنبعثة من شقوق شفتي "أوداد" وهي لغة "آنهي"

المفقود،" إنَّ "آنهي" مكتوب بلغة الحياة التي لا يفهمها إلاَّ الحكماء القدماء... هل تعرف ما هذه اللّغة التي سمّاها، الشيخ لغة الحياة؟... لغة الحياة هي لغة الموسيقى" (الكوني، المجوس، 1992، صفحة 180) وبالتالي نصطدم بفقدان من كل صوب وحدب، ونقف على السعي الدائم لاسترجاع تماهى مع الانفصال عن اللّغة الأولى، فتغدو استعادة مستحيلة، ويغدو معها الاسترجاع انفصال لا اتّصال (بلقاسم، 2017، صفحة 41،43) لأنَّ الانفصال على لغة اللّبنة الأولى يوسّع أكثر من هوّة استرداد هذه اللّغة والسّكن إليها، فلا نكون إلاَّ أمام فقدان يتجدّد ويتمدّد على نحو غير متناهي، وهكذا تبقى الكلمة الأخيرة في روايات الكوني للصّمت وحده.

الخاتمة:

إن محاولتنا استدراج أطياف الغياب في متون روايات إبراهيم الكوني والايقاع بها لمعرفة أسرار الريح والتلذذ بعيش التيه والتشتت في كون لا تخوم له، أسفر عن دراسة متواضعة منغمسة في الخيالات الجمالية المتوحشة للصحراء، وقد استنبطنا منها جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

– إن انبثاق الرواية الصحراوية من رحم التجريب وفتنة كتابتها الماكرة؛ أدت بنصوص الصحراء إلى تفجير كتابة تنفلت من الأيديولوجيات والزمن التاريخي، وتسلم أنفاسها للمطلق والميثولوجي، وتتعرض جل تفاصيل المتون الكونية إلى التركيز على ثالوث الفقدان: واو(وبار أو الواحة الأسطورية المطمورة تحت الرمال)، والكتاب المقدس، والذات المغتربة عن وجودها، بحيث تتواشج نصوصه بالفلسفة الأنطولوجية وتعود إلى الحفر في الأنثروبولوجي والكوسمولوجي.

– يستحضر السرد في أعمال إبراهيم الكوني نذور أنفاس الطوارق اللاهثة نحو شق خطواتها خلف التيه ومطاردة السّراب، حاملين وزر خطيئة الخروج الأول من الوطن المجهول، يناشدون مصيراً صُلب على جبين الطوارق منذ الميلاد؛ للعثور على فردوس أثيري مفقود، وهو اللبنة الأساسية التي تشربت منها جميع مضامين روايات الكوني؛ قاذفة بشخوصه إلى رمال تبتلعهم وتمحو كل آثار العودة، فتعول على السَفر والارتحال للبحث عن المطلق واكتشاف الذات الإنسانية.

– بما أن الصحراء تُسبح بالصمت والسكينة؛ فكل ضجيج الحياة إذن هو مغتصب لحرمة الصمت وقداسته. وليس غريبا أن تحفل الصحراء بالصمت مادام هو شعار الوطن المخفي "واو" المتلفعة بالظلال وبقايا الرماد.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم. سورة عبس. رواية ورش.

إبراهيم الكوني. (1991). *رباعية الخسوف، البئر* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير.

إبراهيم الكوني. (1991). *رباعية الخسوف، الواحة* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير.

إبراهيم الكوني. (1992). *الربة الحجرية، الوقائع المفقودة في سيرة المجوس ونصوص أخرى* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير.

إبراهيم الكوني. (1992). *المجوس* (الإصدار 01). لبنان: دار التنوير.
إبراهيم الكوني. (1997). *واو الصغرى* (الإصدار 1). لبنان: دار الفارس للنشر والتوزيع.
إبراهيم الكوني. (2000). *نزيف الروح* (الإصدار 1). لبنان: دار الملتقى للطباعة والنشر.
إبراهيم الكوني. (2009). *نداء ماكان بعيدا* (الإصدار 2). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
إبراهيم الكوني. (2012). *عنّوس السّرى، روح أمم في نزيف الذاكرة* (الإصدار 1). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
إبراهيم الكوني. (2012). *نزيف الحجر* (الإصدار د.ط). الجزائر: منشورات الشهاب.
إبراهيم الكوني. (2015). *لون اللّعنة* (الإصدار 2). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
إبراهيم الكوني. (د.س). *عشب اللّيل* (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الملتقى للطباعة والنشر.
أحمد دلباني. (د.س). *سفر الخروج، اختراق االسبات الأيديولوجي في الثقافة العربية* (الإصدار 1). سوريا: دار التكوين.
إدمون جابيس. (2015). *كتاب الهوامش* (الإصدار 1). (رجاء الطالبي، المترجمون) المغرب: دار الأمان.
حسام نايل. (2014). *دروس التفكيك، الإنسان والعدمية في الأدب المعاصر* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير.
خالد بلقاسم. (2017). *مرايا القراءة، الحكي والتأويل عند كليطو* (الإصدار 1). المغرب: المركز الثقافي العربي.
دليلة زغودي. (جوان 2019). نداء الملاحم في رواية الصحراء عند إبراهيم الكوني. *مجلة الأثر*(31)، 67-88.
ديفيد بيكارد. (2018). *عالم الصمت* (الإصدار 1). (قحطان جاسم، المترجمون) لبنان: دار التنوير.
رشيد بوطيّب. (د.س). *نقد الحرّية مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس* (الإصدار 01). الجزائر: منشورات الاختلاف.
سعاد الحكيم. (1981). *المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة* (الإصدار 1). لبنان: دندرة للطباعة والنشر.
سفيان زدادقة. (2008). *الحقيقة والسراب، قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة* (الإصدار 1). لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
غادة الإمام. (2010). *جاستون باشلار جماليات الصورة* (الإصدار 1). لبنان: دار التنوير.
فراس السواح. (2002). *لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة* (الإصدار 8). سوريا: دار علاء الدين.
مارتن هيدغر. (2012). *الكينونة والزمان* (الإصدار 1). (فتحي المسكيني، المترجمون) لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
محمد بكاي. (2011). *مقولة الشبحية عند جاك ديريدا ضمن كتاب جاك ديريدا ما الآن؟ ماذا عن غد؟ التفكيك، الخطاب إشراف محمد شوقي الزين* (الإصدار 1). لبنان: دار الفرابي.

محمد شوقي الزين. (2018). *الغسق والنسق، مقدمة في أفكار ميشال دو سارتر* (الإصدار 1). الجزائر: الوسام العربي.

محمد ياسين إبراهيم. (2002). *مدخل إلى التصوف الفلسفي، دراسة روحية سيكوميتافيزقية* (الإصدار 1). مصر.

مرسيا إلياد. (2018). *المقدس والدنيوي* (الإصدار 1). (إحسان أحمد آيت، المترجمون) سوريا: دار الحوار.

مشيل مافيزولي. (2010). *في الحل والترحال، عن أشكال التيه المعاصرة* (الإصدار 1). (زارو عبد الله، المترجمون) المغرب: افريقيا الشرق.